Journal Of the Iraqia University (67-1) May (2024)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

دلائل النبوة مسالكها وأنواعها وحكمة تنوعها(دراسة تحليلية)

د. أحلام بنت محمد سعد الوادي.

أستاذ مساعد-جامعة أم القرى-كلية الدعوة-قسم العقيدة.

dr.ahlam010@gmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث الموسوم بـ: (دلائل النبوة مسالكها وأنواعها وحكمة تنوعها) إلى دراسة دلائل النبوة من حيث مسالكها عامة، وأنواعها، والحكمة من تنوعهاومن أسباب اختيار الموضوع: أهمية دلائل النبوة في إثبات صدق الخبر عن الله تعالى الذي جاء به الأنبياء، وتصنيف دلائل النبوة حسب مسالكها وجمع المتقارب منها في مسلك واحد، واستنباط الحكمة من تنوعهاويجيب البحث على أسئلة منها: ماهي مسالك دلائل النبوة، وهل يمكن جمع أنواع من الآيات في تصنيف واحد، وما حكمة تنوعهاولم تتطرق له الدراسات السابقة من هذا الجانب.وتنوعت مناهج البحث فيه ما بين المنهج: الوصفي، والتحليلي، والاستنتاجي. وجاء مقسما إلى: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مطالب وهي: مسالك النبوة، وأقسام آيات الأنبياء، والحكمة من تنوع دلائل النبوة، ثم خاتمة وفيها أهم النتائج ومنها:

١-أنه يمكن إجمال دلائل النبوة في ثلاثة مسالك: المسلك الشخصي والأخلاقي، والمسلك التشريعي، ومسلك الآيات وانخراق السنن الكونية.

٢-أن آيات الأنبياء تنقسم إلى أقسام وأنواع: من حيث إدراكها، ومن حيث الكمال الإلهي، ولكل أدلته وأمثلته.

٣-أن تنوع دلائل النبوة له حكم بعضها ظاهر ومباشر، وبعضها ظاهر غير مباشر.ومن توصيات هذا البحث: الاهتمام بدراسة دلائل النبوة إثباتاً للحق، وخدمة للدين، ونصرة للأنبياء، ولمواجهة موجات الإلحاد والطغيان المادي.

الكلمات المفتاحية: دلائل – النبوة – أدلة النبوة –براهين النبوة.

Abstract

The current research, entitled: "Evidence for Prophecy, its Paths, Types, and the Wisdom of its Diversity" aims to discuss the evidence for prophecy in terms of its paths in general, its types, and the wisdom of its diversity.

The Reasons for Choosing the Topic: The importance of evidence for prophecy in proving the truthfulness of the story about Allah that was brought by the prophets, classifying the evidence for prophecy according to its paths, collecting similar ones in one path, and deriving wisdom of their diversity.

It answers questions, including what are the paths of evidence for prophecy, whether is it possible to collect types of verses in one classification, and what is the wisdom of their diversity.

Literature Reviews did not address this aspect.

The research has adopted varied Approaches: Descriptive, analytical, and deductive approaches.

It is divided into an introduction, a preface, and three requirements: paths of prophecy, sections of the prophets' verses, wisdom of the prophecy diverse evidence, then a conclusion, which contains the most prominent findings, including:

1.The evidence of prophecy can be summarized in three paths: The personal and moral path, the legislative path, and the path of verses and the violation of universal laws.

2.The verses of the prophets are divided into sections and types: According to their realization, divine perfection, and each has its evidence and examples.

3.The diversity of evidence for prophecy has wisdom, some of which is apparent and direct, and some of which is apparent and indirect.

Recommendations of the research: Pay attention to studying the evidence of prophecy to prove the truth, serve the religion, support the prophets, and confront the waves of atheism and materialistic tyranny.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله الهادي إلى الحق وإلى صراط مستقيم.لما كانت النبوة وسيلة إلى معرفة أشرف العلوم، والقيام بأشرف الأعمال وأجلّها، كان من رحمته سبحانه أن جعل للأنبياء آيات وبراهين تدل عليهم، ويحاجُّون أقوامهم مستدلين بها على صدق إخبارهم عن مرسلهم، ويتحقق الناس بها من أخبارهم، ويعرفونهم بها ويصدقونهم من خلال بعضها.قال تعالى:﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴾(الأعراف:١٠١)، وقال سبحانه:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ رُسُلَنَا﴾ (الحَدِيد: ٢٥)، وقال ﷺ : «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة»[١] .وفي تنوع الأدلة وكثرتها وتتابعها حكمة؛ فإن الأدلة كلما كثرت وتواردت على مدلول واحد كان أوكد وأظهر وأيسر لمعرفة الحق. [٢]ولما كان لدلائل النبوة عظيم أهمية في إثبات صدق النّبي في إنبائه عن الله تعالى؛ كانت الدلائل كثيرة ومتنوعة – كما سبق القول –؛ فإنه من الحريّ أن يُهتم بدراستها وبيان أنواعها ومسالكها، وأسماءها وحكمة تنوعها، ومن هنا ظهرت أهمية البحث في دلائل النبوة، خاصة في زمن ارتفعت فيه أصوات منكري الوحي والنبوة متزامنة مع موجات الإلحاد، وتعظيم الفكر المادي، والمذاهب العقلانية المشككة في الغيبيات ومنها النبوة.ولهذا جاء هذا البحث بعنوان: (دلائل النبوة مسالكها وأقسامها وحكمة تنوعها).

أسباب اختيار الموضوع:

١–أهمية دلائل النبوة في إثبات صدق الخبر عن الله تعالى الذي جاء به الأنبياء.

٢–بيان أنواع دلائل النبوة المذكورة في القرآن الكريم والسنة، مما يزيد المؤمن إيماناً، وتكون سبباً لإسلام من يرد الله به خيراً.

٣–إبراز ثبوت النبوة بالدلائل المتعددة أمام موجات التشكيك، وانتشار الأفكار والآراء المضللة؛ لصرف الناس عن الإيمان بالنبوة والإلحاد فيها.

٤–تصنيف دلائل النبوة حسب مسالكها، وجمع المتقارب منها في مسلك واحد.

٥–استنباط الحكمة في تنوع دلائل النبوة.

مشكلة البحث:

- يجيب البحث على الأسئلة الآتية:

س١ / ماهي مسالك دلائل النبوة؟

س٢ / ماهي أقسام آيات الأنبياء؟

س٣/ هل يمكن جمع أنواع من الآيات في تصنيف واحد؟

س٤/ ما حكمة تنوع دلائل النبوة؟

الدراسات السابقة:

لما كان لموضوع دلائل النبوة من أهمية في إثبات الإيمان بالأنبياء والرسل لإ، فقد اهتم الباحثون بالكتابة فيه، وتناوله من عدة محاور وجوانب ومن هذه الدراسات:

١– مظاهر دلائل النبوة من خلال حماية الله لنبيه محمد ﷺ، فتحي عبدالرحمن محمد عطية، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق المجلد(٣٣)، العدد(٢)، ٢٦ / ٨ / ٢٠٢١ م .

وتختلف هذه الدراسة عن هذا البحث في أنها تركز على نوع واحد من أنواع الدلائل وهو حماية الله تعالى للنبي ﷺ، ووقايته من القتل أو الإهلاك على يد عدوه.أما هذا البحث فهو بحث فيه تصنيف آيات الأنبياء تحت أنواع ومسالك وأقسام، وأهمية تنوعها ودلالاتها.

٢– دلائل النبوة الغيبية المستقبلية في السنة النبوية (دراسة تأصيلية) زينب إسماعيل أحمد، المجلة العلمية لكلية الدعوة وأصول الدين بالزقازيق المجلد(٣٢)، العدد(٤)، ١٢ / ٨ / ٢٠٢٠ م.

وتختلف هذه الدراسة عن هذا البحث في أنها تركز على نوع من الدلائل وهو الإخبار عن الغيبيات المستقبلية، أما هذا البحث فهو يبحث في أنواع الدلائل وأقسامها ومسالكها على وجه العموم.

منهج البحث:

تنوعت مناهج بحث الدراسة في موضوع دلائل النبوة ما بين:

١- المنهج الوصفي: بوصف مسالك وأقسام دلائل النبوة وآيات الأنبياء.

٢- المنهج التحليلي: بتحليل دلائل النبوة لتصنيفها في أنواع ومسالك وأقسام.

٣- المنهج الاستنتاجي: باستنتاج الحكمة من تنوع دلائل النبوة.

خطة البحث:

جاء البحث في تمهيد، وثلاثة مطالب، وخاتمة.التمهيد وفيه: معنى كلمة دلائل لغة.وورود كلمة دلائل في القرآن الكريم.معنى النبوة لغة.معنى مصطلح دلائل النبوة.

المطلب الأول: مسالك دلائل النبوة:

أولاً: المسلك الشخصي والأخلاقي.

١- الكمال الشخصي.

٢- الكمال الأخلاقي.

٣- التجرد الإصلاحي.

ثانياً: المسلك التشريعي.

ثالثاً: مسلك الآيات وانخراق السنن الكونية بين أيديهم.

المطلب الثاني: أقسام آيات الأنبياء:

أ- أقسام آيات الأنبياء من حيث إدراكها.

ب- أقسام آيات الأنبياء من حيث الكمال الإلهي.

المطلب الثالث: الحكمة من تنوع دلائل النبوة.

أولًا: حكمة تقرير وإثبات ربوبية الله تعالى.ثانيًا: حكمة إثبات وتقرير إلهية الله وحده دون سواه.ثالثاً: حكمة إثبات صدق النّبي في دعواه.رابعًا: حكمة إقامة الحجة على الخلق.ثم الخاتمة وفيها: أهم النتائج والتوصيات.وأرجو من الله تعالى وأدعوه أن يتقبل عملي هذا، ويبارك فيه، وينفع به، ويغفر عما فيه من نقص أو خلل.وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

التمهيد

- **معنى كلمة الدلائل لغة:**دلائل جمع دليل، وهو في اللغة: المرشد والهادي؛ سواء كان أمارة أو علامة، أو ناصبها أو واضعها، أو ذاكرها والمنبه عليها، وهو فعيل بمعنى فاعل على المبالغة، كعلم وعالم والدليل معدول عن دال، والمصدر منه دَلالة و دِلاَلة بالفتح والكسر، والفتح أفصح، ويجمع الدليل على أدلة وأدلاء.(٣)

- **وورود كلمة دلائل في القرآن الكريم:**لم ترد كلمة دلائل في القرآن الكريم بصيغة الجمع، وإنما وردت بصيغة المفرد (دليل) كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شاء لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جعلنا الشمس عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ (الفُرْقَان: ٤٥).وورود في القرآن إنما جاء مرادًا به: الأمارة والعلامة، كما جاء الفعل منه مراداً به للهداية والإرشاد، قال تعالى: ﴿يأيها الذين ءَامَنُواْ هل أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (الصَّف: ١٠)، وقال تعالى: ﴿ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ﴾ (طه: ٤٠)، وقال تبارك وتعالى: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾ (سَبَإ: ١٤)ولم يرد لفظ الدليل في القرآن مرادًا به ما يثبت العقائد؛ وإنما عبر عن ذلك بالبرهان قال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (المؤمنون: ١١٧)، والحجة كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ (الأنعام: ٨٣)، والسلطان كما جاء في الآية: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ٤٥ ﴾ (المؤمنون: ٤٥)، والبصيرة، ووردت في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٣)، والآية والبينة قال جلَّ ذكره ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ (البقرة: ٢١١)، وهي كلها تتضمن معنى الدليل، وبعضها يزيد في المعنى على مجرد الهداية والإرشاد بحسب اشتقاقه. (٤)

- **معنى النبوة لغة:**

أورد أهل اللغة لأصل اشتقاق كلمة (النّبي) قولان وهما:

القول الأول: أن النّبي مشتق من (نبأ) بالهمز، ويتضمن معنيان:

١/ معنى الخبر، يقال وإن لفلان نبأ، أي: خبرا، والجمع: الأنباء.[٥] وقوله عز وجل: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ٢ ﴾ (النبأ: ١-٢). قيل عن القرآن، وقيل عن البعث، وقيل عن أمر النّبيﷺ. وقد أنبأه إياه وبه.[٦]وإنما سمّي النّبي نبياً؛ لإنبائه عن الله تعالى أي لإخباره عنه سبحانه، أو لإنباء الله إياه: أي لإخبار الله إياه، فهو إذا مُخْبَر ومُخْبِر. ولفظ الإنباء يتضمن معنى الإعلام، يقول ابن تيمية: "لفظ الإنباء يتضمن معنى الإعلام والإخبار، لكنه في عامة موارد استعماله أخص من مطلق الإخبار فهو يستعمل في الإخبار بالأمور الغائبة المختصة، دون المشاهدة المشتركة"[٧]، كما قال:﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ (آل عمران:٤٩). وقال تعالى:﴿ قل هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ٦٧ أنتم عنه معرضون ٦٨﴾ (ص:٦٧-٦٨).

٢/ بمعنى الطريق الواضح[٨]، ومنه أخذ الرسول؛ لأنه الطريق الواضح الموصل إلى الله تعالى.[٩]قال الكسائي: النّبيء: الطريق. والأنبياء: طرق الهدى[١٠] الموصولون إلى معرفة الله الحقة، ومعرفة أوامره ونواهيه.

القول الثاني: أن النّبي مشتق من (نبا) بدون همز، مأخوذ من النَّبْوة والنَّبَاوَةِ، وهي الارتفاع من الأرض؛ لارتفاع قدره ولأنه شرف على سائر الخلق. فأصله غير الهمز، وهو فعيل بمعنى مفعول، وتصغيره نبي، والجمع أنبياء[١١] والنّبي: العلم من أعلام الأرض التي يهتدى بها. قال بعضهم: ومنه اشتقاق النّبي؛ لأنه أرفع خلق الله.[١٢]

- **معنى مصطلح دلائل النبوة:**

هي العلامات والبراهين والآيات المستلزمة لصدق النّبي، سواء أكانت على وجه التحدي أو ابتداءً.ومن مرادفاتها: آيات النبوة، أمارات النبوة، علامات النبوة[١٣]، الآيات البينات على صدق النبوة، براهين النبوة، آيات الأنبياء.

المطلب الأول: مسالك دلائل النبوة:

آيات الأنبياء كثيرة ومتنوعة، ونتيجة لهذه الكثرة والتنوع؛ فإنه يمكن إجمالها في ثلاثة مسالك:

أولاً: المسلك الشخصي والأخلاقي.

١/ الكمال الشخصي:فقد بلغ الأنبياء غاية ما يمكن أن يصل إليه النوع الإنساني من الكمال في جميع الأوصاف المتعلقة بهم من جهة أنسابهم، وكمال خلقهم وجمال صورتهم، وقوة عقولهم وكمال رشدهم ورجاحة بصيرتهم.فأمَّا مَا يتعلَّق بِأنسابهم فقد كان الأنبياء من عِلْيَة القوم في أُممِهم، فقد عَلَّل قوم شعيب -عليه السلام- عدم قَتلهِم إيَّاه؛ لكونه عالي النّسب فيهم قال تعالى عنهم: ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ٩١﴾ (هود: ٩١)، وحكى عن قوم صالح -عليه السلام- ؛ قولهم: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ ﴾ (هود: ٦٢)، أي: كنا نرجو أن تكون فينا سيدًا قبل النبوة، وذكر أنهم أرادوا تنصيبه ملكًا عليهم[١٤].وكذلك كان نبينا محمد ﷺ ذو نسب في قومه فقد قال ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشما من قريش واصطفاني من بني هاشم [١٥]». ومما يدل على ذلك أيضا سؤال هرقل ملك الروم حينما جاءه كتاب من رسول الله ﷺ يدعوه للإسلام فسأل أبا سفيان -وكان في تجارة لبلاد الشام ولم يسلم بعد - عن نسب النّبي ﷺ فأجابه: بأنه ذو نسب فيهم، فرد عليه هرقل بقوله: «سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها». [١٦]

ومن أمثلة الكمال الشخصي ما يتعلق بما كانوا عليه من تمام العقل، وكمال الرشد قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١﴾ (الأنبياء: ٥١)، قال ابن كثير: «يخبر تعالى عن خليله إبراهيم -عليه السلام-أنه آتاه رشده من قبل، أي: من صغره ألهمه الحق والحجة على قومه[١٧]وما ذكره الله عن قوم صالح -عليه السلام-؛ أنهم قالوا لما دعاهم إلى عبادة الله -عز وجل-: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤﴾ (هود: ٥٤)، ومعنى اعتراك: ألمَّ بك بعد إذ لم يكن فيك فبرؤوه أن يكون فيه قبل ذلك سوء في عقله، فهو وصف منهم له بالرشد وكمال العقل.

٢/ الكمال الأخلاقي:

فأخلاق الأنبياء -عليهم السلام-أفضل الأخلاق، وآدابهم أفضل الآداب على الإطلاق؛ فهم أهل السمت والمروءة والأخلاق النّبيلة والصفات الشريفة ، والشواهد على ذلك كثيرة جداً، لكننا سنقصر الحديث في هذا المقام على صفتي الصدق والأمانة؛ لكونهما ألصق الصفات بموضوعنا وأكثرها تعلقا به؛ فإن النبوة قائمة على الإخبار عن الله والأنبياء -عليهم السلام- قد بلغوا في هاتين الصفتين مبلغاً عظيماً من الكمال فقد دعا نبي الله نوح -عليه السلام-قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له وذكرهم بأنه كان ولايزال معروفا بالأمانة فيهم فقال: ﴿ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴾ (الشعراء:

١٠٧)، أي: «صادق فيما أبلغكم عن الله –عز وجل– ، وقيل أمين فيما بينكم فإنهم كانوا عرفوا أمانته وصدقه من قبل[١٨]وكذلك نبينا محمد ﷺ حين قام في قومه يبلغهم رسالة الله إليهم، قال لهم بعد أن نادى في بطون قريش: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟! قالوا: نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم[١٩]»، فشهد له قومه بأنهم ما جربوا عليه كذبة في حياته وفي ذلك أبلغ الدلالة على كماله في هذه الصفة.ومازالت قريش تشهد للنبي ﷺ بالصدق مع عدم تسليمهم لما جاء به، فقد قال عتبة بن ربيعة لقومه بعد زمن بعثة النّبيﷺ: «قد علمت أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب[٢٠]»، وحين خلا الأخنس بن شريق بأبي جهل يوم بدر، فقال له: أترى محمداً يكذب؟ فقال أبو جهل: كيف يكذب على الله؟ وقد كنا نسميه الأمين لأنه لم يكذب قط، ولكن اجتمعت في بني عبد مناف السقاية والرفادة والمشورة ثم تكون فيهم النبوة، فأي شيء بقي لنا؟ [٢١]وكذلك هرقل حين سأل أبا سفيان: هل يتهمون النّبي ﷺ بالكذب؟ فأجابه: بأن لا. فرد عليه: وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يدع الكذب على الناس ويكذب على الله». وفي كلام هرقل استدلال بدليل عقلي ظاهر وهذا الاستدلال بقياس الأولى فإذا كان العاقل الشريف النّبيل لم يكذب على الناس أربعين سنة من حياته، فمن المستبعد أن يكذب على الله بعد بلوغه سن الأشد[٢٢].

٣/ التجرد الإصلاحي:

والمراد بهذا أن الأنبياء كانوا يفعلون أفعالا أثناء مسيرتهم الدعوية الإصلاحية لا يفعلها إلا من يعتقد اعتقادا جازما أن الدعوة التي يقوم بها ليست لذاته ولا لمصلحته، ويتحرك في جميع أحوال دعوته وهو يعتقد أنه يأوي إلى ركن شديد قادر على حمايته ونصرته وتأييده، ومن يعتقد بأنه ما هو إلا مبلغ لرسالته ومُؤدٍّ لمطلوبه.فالنبوة كما هو معلوم ليست مجرد دعوة إصلاحية إنسانية المصدر، وإنما هي قائمة على الادعاء بأن الرسول ما هو إلا مبلغ عن الله فالكاذب إن ادعى هذه الدعوى لا يمكنه أن يتقول على الله، ويجزم بأنه سيفعل كذا وكذا من الأفعال، ولا يمكنه أن يقدم عليه إلا الصادق الأمين؛ لكون تلك الأفعال من الأمور الغيبية التي لا يمكن لأحد العلم بها.وهذا النوع من الأدلة تتضافر شواهد كثيرة من حياة وسير الأنبياء –عليهم السلام–في تأسيسه وبلوغه درجة اليقين في الدلالة على صدقهم في نبوتهم، وأنهم رسل من عند الله ومن تلك الشواهد [٢٣]:

١) أنهم كانوا يقدِمون إلى ما يدعون إليه بثقة شديدة، ووثوق صارم من غير تردد أو تشكك؛ فهود –عليه السلام– قال لقومه: ﴿ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ٥٤ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴾ (هود: ٥٤–٥٥)، كلام الواثق بربه أن يعصمه من قومه فلم يخف منهم وهو رجل واحد أن يريقوا دمه أو يبطشوا به، بل أكد ثقته بقول ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴾ يريد أنه لا يبالي بهم ولا بكيدهم ولا يخاف تعاونهم عليه وشدة بأسهم.ومثل ذلك قول نوح –عليه السلام–: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ (يونس: ٧١).ونبينا محمد ﷺ جهر بسورة التوحيد والبراءة من الشرك والضلال وهو في مكة وفي وقت ضعف وقلة عدد وعدة، وأتباعه يعذبون ويفتنون في إسلامهم وبعضهم يقتل لتوحيده وتركه لعبادة الأصنام، فيتلو على المشركين بكل قوة وصراحة وثبات سورة الكافرون ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٦ ﴾ (الكافرون: ١–٦) ولم يخفهم ولم يخش قهرهم وتجبرهم وشدة توعدهم به وبأصحابه. وكان يتوعد أهل مكة وهو بين ظهرانيهم بأنهم سيهزمون، وسيتغلب عليهم، وهو يومئذ لا يملك قوةً، ولا عتادًا ولا مالًا ولا رجالًا كما قال تعالى: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ٤٣ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ٤٤ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ٤٥ ﴾ (القمر: ٤٣–٤٥) ، فتوعدهم بالوعد الجازم بالهزيمة وتدور الأيام وينتصر عليهم ويتحقق ما وعدهم به.[٢٤]

٢) أن النّبي ﷺ كان يقدم الأخبار الجازمة عن أحوال المخالفين له في المستقبل، ويحدد مساراتها بثقة وثبات كما أخبر عن مصير أبي لهب بأنه سيدخل النار كما في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ٥ ﴾ (المسد: ١–٥)، ومعنى هذا الخبر أن أبا لهب لا يمكنه أن يعلن إسلامه. وهذا الإخبار لا يمكن أن يقدم عليه كاذب؛ لأن مثل هذا الخبر فيه تعليق لمصير الدعوة كلها بالمواقف التي تظهر من الآخرين، وفيه فتح لباب التشكيك في الدعوة فإن أبا لهب يمكنه أن يعلن إسلامه، ويظهره في العالمين ويكون بذلك أبطل الخبر الذي أخبر به النّبي ﷺ، ومع ذلك فقد بقي أبو لهب على كفره حتى مات فحصول هذا منه دليل على أن ذلك الخبر ليس من عند النّبي ﷺ. [٢٥]

٣) إخبارهم الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أعدائهم وبقاء العاقبة لهم، فوقع كما أخبروا، ولم يتخلف منه شيء، فقد أخبر النّبي ﷺ أن غزوة الأحزاب هي آخر غزوات الكفار على المسلمين، وأن المسلمين سيكونون هم من يغزوا الكفار بعد ذلك وهذا ما حدث، قال ﷺ بعد جلاء الأحزاب عن المدينة وزوال تهديدهم لها وللمؤمنين «الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم»[٢٦].

٤) وعن خباب بن الأرت–رضي الله عنه–قال: « شَكَوْنا إلى رَسولِ اللَّهِ ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنا: ألا تَسْتَنْصِرُ لنا ألا تَدْعُو لَنا؟

فقالَ: قدْ كانَ مَن قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فيُحْفَرُ له في الأرْضِ، فيُجْعَلُ فيها، فيُجاءُ بالمِنْشارِ فيُوضَعُ علَى رَأْسِهِ فيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، ويُمْشَطُ بأَمْشاطِ الحَدِيدِ، ما دُونَ لَحْمِهِ وعَظْمِهِ، فَما يَصُدُّهُ ذلكَ عن دِينِهِ، واللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هذا الأمْرُ، حتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِن صَنْعاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ، لا يَخافُ إلَّا اللَّهَ، والذِّئْبَ علَى غَنَمِهِ، ولَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[٢٧].

٥) وما حدث مع النّبي ﷺ قد حدث مع الأنبياء من قبل، فهذا نبي الله نوح يمتثل لأمر ربه بصنع السفينة، وقومه يضحكون منه، وهو يتوعدهم رغم أنه في حال ضعف وقلة عدد من المؤمنين معه، وقد استذلهم قومه واستضعفوهم، قال تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ٣٨ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٣٩ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (هود: ٣٨-٤٠)، وهذا نبي الله شعيب -عليه السلام- قص الله -عز وجل-علينا قصته مع قومه المكذبين في كتابه الكريم؛ فقد هددوه وأنذروه بالطرد والعذاب إن لم يكف عنهم، وعن نصحهم بترك عبادة غير الله وحده، وهو باق على ثباته ويقينه بالحق الذي يبلغه عن ربه غير مبال بأذى أو تهديد أو عذاب ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ٨٤ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ٨٥ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ٨٦ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ٨٨ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ٨٩ وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ٩٠ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ٩١ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ۖ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ٩٢ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ٩٣ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ٩٤ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ (هود: ٨٤-٩٥).

٦) تجريدهم دعواهم لله تعالى وتخليصها من حظوظ النفس من الجاه والسلطان، فقد كان الرسل -عليهم السلام – لا يطلبون من الناس عرضًا من أعراض الدنيا مقابلا لدعوتهم، قال تعالى مخبرًا عن أنبيائه: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب -عليهم السلام – أنهم قالوا لأقوامهم: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء: ١٠٩) ، وقال محمد ﷺ لقومه: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (ص: ٨٦)، وقد عرض عليه أشراف قومه وكبار رجالاتها أن يجمعوا له مالا؛ حتى يكون أكثرهم مالًا، ويسودوه عليهم ويجعلونه ملكًا، وأن يجمعوا له الأموال وينفقوها عليه؛ لعلاجه إن كان به مس من الجن، فرد عليهم قائلا :« مَا بِي مَا تَقُولُونَ، مَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ، وَلَا الشَّرَفَ فِيكُمْ، وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ، فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ" أَوْ كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٢٨]، ومكث النّبي ﷺ فقيرًا طول حياته لا يملك مالًا، ولا طعامًا مستديمًا في بيته، ومات وهو فقير ودرعه مرهونة عند بعض اليهود وكان يلزم أهل بيته بالزهد والتقلل من الدنيا وكل تفاصيل حياته تدل على أنه لم يقع منه أي نوع من الاستغلال لدعوته ولنجاحها فيها.

فهذه الشواهد وغيرها من حياة وسير الأنبياء-عليهم السلام -تدل على أنهم صادقين في دعواهم مخلصون فيما ذكروا عن ربهم ونقلوا عنه من الأخبار.

ثانيا: المسلك التشريعي.

والمراد به: أن طريقتهم واحدة فيما يأمرون به من عبادة الله، والعمل بطاعته، والتصديق باليوم الآخر، والإيمان بجميع الكتب والرسل؛ فلا يمكن خروج واحد منهم عما اتفقوا عليه؛ فهم يصدّق متأخرهم متقدمهم، ويبشّر متقدمهم بمتأخرهم؛ كما بشر المسيح -عليه السلام-ومن قبله من الأنبياء والرسل بمحمد ﷺ، وكما صدّق محمد ﷺ جميع النّبيين قبله.وقد ثبت في الصحيحين عن النّبي ﷺ أنه قال: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد»[٢٩] فجميع الرسل يدعون إلى الدين الإلهي الذي يقدم للبشرية العقيدة التي تؤمن بها، والشريعة التي تسير عليها في حياتها؛ قال ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ ﴾ (المائدة: ٤٤). ثم جاء المسيح عيسى -عليه السلام- ومعه الإنجيل فيه هدى ونور، ومصدقا لما بين يديه من التوراة، قال جل ثناؤه ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ٤٦ وَلْيَحْكُمْ

أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٤٧ ﴾ (المائدة: ٤٦-٤٧). ثم جاء محمد ﷺ بالشريعة الخاتمة والملة الكاملة، مهيمنة على ما قبلها من الشرائع وناسخة لها، وآتاه الله القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتب قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨ ﴾ (المائدة: ٤٨).

كما أن التشريع الذي جاء به النّبي ﷺ بلغ الغاية في الكمال، والنهاية في الصلاح، والذروة في المحاسن والإتقان؛ بحيث أنه يبعد في العقل أن يكون صادرًا من رجل واحد لم يتعلم الكتابة ولا القراءة، ولم يُعرف بكثرة الأسفار والتجارة، وإقامة العلاقات مع الثقافات الأخرى المختلفة، فقد أتى بدين تشريعي هو أضخم وأكمل الأديان في التشريعات، وأوسعها في المجالات التي توجه إليها، ومع ذلك فقد حوى الإسلام من الكمال والمحاسن، والصّلاح والاستقامة، والرحمة والعدل والانضباط ألوانًا وأصنافًا؛ مما يدل على أنه ليس من وضع بشري من إنسان واحد، أو حتى عدد من الناس، وإنما هو من عند الله تعالى المتصف بالعلم الشامل، والحكمة البالغة، والرحمة الواسعة، والعدل العام، قال : -عز وجل- سمحٱلٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِسجى (إبراهيم: ١)، وكمال دين الإسلام ومحاسنه الشاملة عامة في جميع مسائله ودلائله، وفي أصوله وفروعه، وفيما دلّ عليه من العلوم والأحكام، وفيما اشتمل عليه من جميع المجالات، كالتصور عن الله والعلاقة بينه وبين الخلق، والعلاقة بين الإنسان وبني جنسه، ومجال العبادات والتشريعات التعبدية، ومجال البيع والشراء، والأنكحة وتوابعها، والجنايات والعقوبات والديات والشهادات والأخلاق والقيم وغيرها من المجالات الحياتية المختلفة، قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ (هود: ١)، وقال عزّ من قائل ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ٩١﴾ (النحل: ٨٩-٩١)وإثبات محاسن الإسلام وكمال منظومته واتزانها ومرونتها وواقعيتها عمل استقرائي واسع وقد أكثر علماء الإسلام ومفكروه في القديم والحديث من توضيح تلك المحاسن والكمالات، ورصد الشواهد التفصيلية الدالة عليها في كل قضية من القضايا، وفي كل مجال من المجالات.والإقرار بكمال الشريعة وحسنها، وخروجها عن معهود الخلق وما يعرفه الناس ليس مقتصرًا على علماء الإسلام ومفكريه، وإنما شهد بذلك عدد من علماء النصارى وغيرهم، وأقروا بكمال ما جاء به النّبي ﷺ وعلوه في الحسن والصلاح.وفي الإقرار بهذه الحقيقة يقول بروي[٣٠]: «جاء محمد بن عبد الله ﷺ النّبي العربي، وخاتم النّبيين، يبشر العرب والناس أجمعين بدين جديد، ويدعو للقول بالله الواحد الأحد، كانت الشريعة في دعوته لا تختلف عن العقيدة أو الإيمان، وتتمتع مثلها بسلطة إلهية ملزمة، تضبط ليس الأمور الدينية فحسب بل أيضا الأمور الدنيوية، فتفرض على المسلم الزكاة، والجهاد ضد المشركين، ونشر الدين الحنيف، وعندما قبض النّبي العربي ﷺ عام ٦٣٢م، كان قد انتهى من دعوته، كما انتهى من وضع نظام اجتماعي يسمو كثيرًا فوق النظام القبلي الذي كان عليه العرب قبل الإسلام، وصهرهم في وحدة قوية، وهكذا تم للجزيرة العربية وحدة دينية متماسكة، لم تعرف مثلها من قبل[٣١]».ويقول المؤرخ ول ديورانت[٣٢]: «إذا حكمنا على العظمة بما كان للعظيم من أثر في الناس، قلنا: إن محمدًا رسول المسلمين أعظم عظماء التاريخ، فقد كبح جماح التعصب والخرافات، وأقام فوق اليهودية والمسيحية ودين بلاده القديم دينًا واضحًا قويًّا، استطاع أن يبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم[٣٣]»ودلالة هذا النوع من الأدلة ليست مبنية على مجرد ثبوت الكمال والصلاح والإحسان في دين الإسلام، وإنما هي دلالة مركبة من عدة معانٍ تشترك جميعها في تأسيس الدلالة اليقينية لهذا المسلك، فهي مركبة من كون الإسلام نظامًا تشريعيًا شموليًّا مستوعبًا لجميع مجالات الحياة، وبلغ مع ذلك الغاية في الكمال والنهاية في الحسن، قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ﴾ (الإسراء: ٩)، والذي أتى به رجل واحد فقط لم يعرف عنه أنه تعلم أو درس أو قرأ قبل مجيئه بما جاء به.ويزيد من قوة هذه المعاني المشتركة أن الرجل الذي ادعى أنه جاء بدين الإسلام من عند الله لم يكن معروفًا؛ إلا بأكمل الأوصاف، وأعلى الأخلاق، وأجمل النعوت في الصدق والأمانة والنزاهة.فدلالة هذا المسلك إذن؛ قائمة على هذه المعاني جميعها، والناظر في هذا الدليل لا بد من استحضار كل تلك المعاني حتى ينتظم له المعنى الجامع لها[٣٤].

ثالثًا: مسلك الآيات وانخراق السنن الكونية للأنبياء.

والمراد بهذا المسلك أن الأنبياء كانت تقع بين أيديهم ولهم أحداث خارقة[٣٥] للعادات الكونية[٣٦]، وخارجة عن مقدور الإنس والجن، ولا يستطيع فعلها أحد من البشر، وإنما هي من قدرة إله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.مثل تعطيل خاصية الإحراق للنار وهي طبيعتها، وتعطيل خاصية الاحتراق للأجساد وهي طبيعتها عندما ألقي إبراهيم -عليه السلام- في وسط لهيب النار فانقلبت بردا وسلاما، وهذا أمر ليس بمقدور أحد أن يفعله في النار ولا في الأجساد؛ وإنما بقدرة من القدير سبحانه ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا

عَلَىٰ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾ (الأنبياء: ٦٨-٧٠)، ومن ذلك آية موسى عليه السلام حينما انقلبت عصاه ثعبانا بأمر الله ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ١١٧ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ١٢٠ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٢﴾ (الأعراف: ١١٧-١٢٢)، وآية عيسى -عليه السلام- في إبراء الأكمه والأبرص- بإذن الله- قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠﴾ (المائدة: ١١٠)، وآية محمد ﷺ، وهي القرآن العظيم على الرغم من كونه أميًا لا يقرأ ولا يكتب قال عزّوجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ (الشورى: ٥٢)، إلى غير ذلك من آيات الأنبياء.

المطلب الثاني: أقسام آيات الأنبياء

أ- أقسام آيات الأنبياء من حيث إدراكها.

ويمكن أن تنقسم آيات الأنبياء من حيث إدراكها إلى:

١/ آيات عقلية أو معنوية: وهذه يستدل بها العقل على صدق النّبي أو الرسول، وأعظمها القرآن الكريم لما تضمنه من إعجاز في ألفاظه وعباراته، ونسقه ودلالاته ومعانيه، وأحكامه وشرائعه، مع اشتماله على دقائق البيان وحقائق العرفان، وحسن العبارة، ولطف الإشارة، وسلامة التركيب، وسلامة الترتيب، فتحيرت فيه عقول العرب العرباء، وفهوم الفصحاء ، وقد كان هذا القسم من الآيات دليلا من دلائل النبوة عند من يعي بعقله ويتدبر بقلبه استحالة أن يكون هذا من قول بشر لا محمد ﷺ ولا غيره، فها هو الوليد بن المغيرة وهو كافر ومن أشد الناس عداوة للرسول ﷺ لما سمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ (النحل: ٩٠)، قال: أعِدْ، فأعادَ النّبي صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ الوليد : «واللَّهِ إنَّ لهُ لحلاوةً وإنَّ عليهِ لطلاوةً وإنَّ أعلاهُ لمثمرٌ وإنَّ أسفلَهُ لمغدقٌ وما يقولُ هذا بشرٌ وقالَ لقومِهِ واللَّهِ ما فيكم رجلٌ أعلمُ بالأشعارِ منّي ولا أعلمُ برجزِهِ ولا بقصيدتِهِ منّي ولا بأشعارِ الجنِّ واللَّهِ ما يشبهُ هذا الَّذي يقولُ شيئًا من هذا واللَّهِ إنَّ لقولِهِ الَّذي يقولُ حلاوةً وإنَّ عليهِ لطلاوةً وإنَّهُ لمثمرٌ أعلاهُ مغدقٌ أسفلُهُ وإنَّهُ ليعلو وما يُعلَى وإنَّهُ ليحطِّمُ ما تحتَهُ».[٣٧]ومن هذا القسم من دلائل النبوة : آية الإسراء والمعراج ، وما فيها من حكم عظيمة ودلائل ساطعة على أن هذا الأمر يستحيل أن يكون بمقدور بشر، ولا أحد من الخلق أن يأتي بمثل ما كان وجرى من أحداث في ليلتها، قال تعالى : ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَى ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ (الإسراء: ١)، عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – قالت: «لَمَّا أُسْرِيَ بِالنّبي صلى الله عليه وسلم إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانُوا آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَعَوْا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ فِي صَاحِبِكَ؟ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ فِي اللَّيْلِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: أَوَقَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَم، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: وَتُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لأُصَدِّقُهُ بِمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ: أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غُدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ».[٣٨]ويأتي في هذا القسم أيضا: بشارات الأنبياء عن بعثة النّبيﷺ والإخبار بالمغيبات الماضية والحاضرة والمستقبلة، والإخبار عن الفتن وأشراط الساعة.

٢/ آيات حسية: يستدل بها المدعوون بحواسهم على صدق النّبي، وهي خارقة للسنن الكونية، ومناقضة لها ولا يمكن أن يأتي بمثلها بشر.

ومن أمثلتها : ناقة صالح -عليه السلام-، قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (الأعراف: ٧٣)، ومن تلك الآيات: فلق البحر طريقا يبسا لموسى -عليه السلام-، ونجاته ومن معه أمام أعين عدوه، وانطباق البحر على عدوه وإهلاكه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ٧٧ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ٧٨﴾ (طه: ٧٧-٧٨)وكانشقاق القمر آية للنبي ﷺ، قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ٢﴾ (القمر: ١-٢)، عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يُريهم آيةً فأراهم القمر شقين، حتى رأوا حِراءَ بينهُمَا»[٣٩]. وحنين الجذع للنبي ﷺ روى البخاري عن ابن عمر -رضي الله عنهما – قال: «كان النّبي ﷺ يخطُبُ إلى جِذْعٍ فلمّا اتّخذَ المنْبرَ تحوَّلَ إليه فحنَّ الجِذْعُ فأتاهُ فمسحَ يدَهُ عَليهِ»[٤٠]، وتسليم الحجر على النّبي ﷺ، وتكثير الطعام بين يديه -عليه السلام-.

ب_ أقسام آيات الأنبياء من حيث الكمال الإلهي.

وكذلك تنقسم آيات الأنبياء من حيث الكمال الإلهي إلى ثلاثة أنواع[٤١]:

النوع الأول: آيات متعلقة بكمال العلم الإلهي: وتكون الآيات بأن يُؤتي الله نبيه ورسله من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا هو، فيسمع النّبي ما لا يسمعه غيره، أو يرى ما لا يراه غيره يقظة ومناما، وتارة بأن يعلم ما لا يعلم غيره وحيا وإلهاما، أو إنزال علم ضروري أو فراسة صادقة[٤٢].ومن الأمثلة عليه: الإخبار بالمغيبات الماضية والآتية، كإخبار عيسى –عليه السلام– قومه بما يأكلونه وما يدخرونه في بيوتهم قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩﴾ (آل عمران: ٤٩)، وإخبار رسولنا ﷺ بأخبار الأمم السابقة، وعن أحوالها وأنبيائها وصالحيها، ومن أمثلته قوله ﷺ «أنَّ رَجُلًا كانَ فِيمَن كانَ قَبْلَكُمْ، أتاهُ المَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فقِيلَ له: هلْ عَمِلْتَ مِن خَيْرٍ؟ قالَ: ما أعْلَمُ، قيلَ له: انْظُرْ، قالَ: ما أعْلَمُ شيئًا، غيرَ أنِّي كُنْتُ أُبايِعُ النَّاسَ في الدُّنْيا وأُجازِيهِمْ، فَأُنْظِرُ المُوسِرَ، وأَتَجاوَزُ عَنِ المُعْسِرِ، فأدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ».[٤٣] وإخباره عليه الصلاة والسلام بالفتن وأشراط الساعة التي ستأتي في المستقبل.

النوع الثاني: آيات متعلقة بكمال القدرة الإلهية، وهي أن يُؤتي الله النّبي القدرة على الفعل وهي التأثير، وهذا التأثير قد يكون كما قال ابن تيمية: (همة وصدقا ودعوة مجابة، وقد يكون من فعل الله الذي لا تأثير له فيه بحال)[٤٤]من الأمثلة عليه: ما أعطاه الله تعالى لسليمان –عليه السلام– مما يخرج عن قدرة الإنس والجن؛ من تسخير الرياح له والطير والجن، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ (سبأ: ١٢–١٣) ومثل هلاك أعداء النّبي بغير أثر ولا قدرة منه؛ كإهلاك فرعون وإغراقه في البحر، ونجاة موسى –عليه السلام–ومن معه، وإهلاك قوم فرعون بالجراد والقمل والضفادع والدم، وتحويل العصا أفعى في يد موسى –عليه السلام–، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى على يد عيسى –عليه السلام–بلا حول منه ولا قوة، وإنما هو بأمر الله تعالى وقدرته، وشقّ القمر للنبي ﷺ، وغيرها كثير من آيات الأنبياء.

النوع الثالث: آيات متعلقة بكمال الغنى الإلهي: وهو أن يؤتي الله أنبياءه القدرة على الترك، ومن أمثلته: مواصلة النّبي ﷺ للصيام مع عدم تأثير ذلك على حيويته ونشاطه. عن أبي هريرة –رضي الله عنه–أن النّبي ﷺ نهى عن الوصال في الصوم، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله، قال: «وأيُّكم مِثْلي، إنِّي أبِيتُ يُطعِمُني رَبِّي ويسْقِيني»[٤٥]وكذلك ما يصنع له من حيث لا يحتسب من النصر والتأييد والعصمة، من الأمثلة على ذلك: عصمة الله لرسوله ﷺ من الناس، وحمايته له ممن أراد به سوءًا، روى أبو هريرة–رضي الله عنه–: «أن أبا جهل حلف باللات والعزى أنه لو رأى الرسول ﷺ يصلي في المسجد حيث مجامع قريش أن يطأ على رقبته، أو ليعفرن وجهه في التراب، فلما رأى الرسول ﷺ ساجدا، أراد أن يفعل ما أقسم عليه، فما اقترب منه " ما فاجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه، فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولاً وأجنحة. فقال الرسول ﷺ: " لو دنا منّي لاختطفته الملائكة عضواً عضوًا".[٤٦]وهذه الأمور الثلاثة: العلم، والقدرة، والغنى، التي ترجع إليها المعجزات لا ينبغي أن تكون على وجه الكمال إلاّ لله تعالى، ولذلك أمر الله رسوله ﷺ بالبراءة من دعوى هذه الأمور ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠﴾ (الأنعام: ٥٠)، فالرسول ﷺ يبرأ من دعوى علم الغيب، وملك خزائن الأرض، ومن كونه مَلَكاً مستغنيًا عن الطعام والشراب والمال.والرسل ينالون من هذه الثلاثة المخالفة للعادة المطردة، أو لعادة أغلب الناس بقدر ما يعطيهم الله تعالى، فيعلمون من الله ما علمهم إيّاه، ويقدرون على ما أقدرهم عليه، ويستغنون بما أغناهم به.

المطلب الثالث: الحكمة من تنوع دلائل النبوة.

وإن كان ظاهر الأمر أن المقصود من إعطاء الأنبياء والرسل نوعًا أو أنواعًا من الدلائل بينةً وبرهانًا على صدق نبوتهم؛ إلا أنّ لله تعالى حكمة في تنوعها، قد يتجلى بعضها ويظهر من خلال البحث والدراسة.ومن الحكم التي يمكن أن تظهر من هذه الدلائل: حكمة تقرير ربوبية الله تعالى، وحكمة إثبات إلهية الله تعالى واستحقاقه للعبادة وحده، وإبطال ألوهية المعبودات غيره سبحانه وإقامة الحجة على الخلق فمنها مايخاطب أولي العقول والنهى، ومنها ما يخاطب من لا يؤمن إلا بالحس والمشاهدة.

أولًا: حكمة تقرير وإثبات ربوبية الله تعالى.

من الحكم التي تتجلى من تنوع دلائل النبوة حكمة عظيمة بينة وناصعة، لمن تدبر فيما وراء ظهور الدلائل على يد النّبي أو الرسول، وهي حكمة

إثبات وتقرير ربوبية الله تعالى.فهناك بينات وآيات بالخلق من العدم، وإحياء موتى، ونطق حجر أصم، وشق قمر إلى شقين، وفلق بحر هائج مائج إلى طريق يبس ممهد لعابريه، وقلب النار المحرقة للأجساد إلى برد وسلام عليهامن يقدر على مثل هذا غير ربٍّ قديرٍ عليمٍ وحكيمٍ، لا تعجزه الأفعال العظِام؛ لأنه سبحانه هو أرادها وهو خالقها.وعندما يأتي النّبي بالبينة والدليل من الله تعالى، ويدعو قومه إلى الإيمان به وحده ونبذ من اتخذوه ربًا مع الله أو من دون الله تعالى، أيًّا كان بشرًا أو حجرًا أو كوكبًا أو شمسًا أو قمرًا، فهل يقدر أن يأتي هذا الرب المزعوم بمثل ما يأتي به النّبي من عند الله –عز وجل– ؟؟ قال تعالى في مجادلة إبراهيم –عليه السلام– مع النمرود مدعي الربوبية: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨)وعندما أتى موسى –عليه السلام– بآية العصا التي تنقلب ثعبانا عظيما بأمر الله –عز وجل– وتلقف ما أتى به سحرة فرعون المدّعي للربوبية من دون الله، فلما تيقن السحرة أن هذا الذي وقع أمامهم ليس بسحر، ولا من فعل الإنس أو الجان، ولا يقدرون عليه، خرُّوا لله ساجدين، قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠ ﴾ (طه: ٦٥–٧٠).

ثانيًا: حكمة إثبات وتقرير إلهية الله وحده دون سواه.

تتجلى أيضًا من تنوع دلائل النبوة حكمة إثبات إلهية الله وحده واستحقاقه للعبودية، وهي مترتبة على حكمة إثبات وتقرير ربوبية الله تعالى وحده؛ فما أعطاه من دلائل وآيات بينات لأنبيائه لا يقدر عليها أحد، قال تعالى:﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧﴾(النحل: ١٧)، فمن هو مخلوق مربوب لا يملك أن يدبر أمر نفسه فضلا عن أن يدبر أمر من يعبده، ولا أن ينصره أو يجلب له خيرًا أو يدفع عنه ضرًا، ولا يغني عنه شيئًا، فكيف يُتخذ إلهًا معبودًا تُصرف له العبادة والتقديس والتعظيم وقد أثبت المولى –عز وجل–إلهيته واستحقاقه للعبادة وحده بإثبات ربوبيته وأفعاله من خلق ورزق وتدبير وملك وإحياء وإماتة وتشريع، وأظهر بطلان من يدّعِى الألوهية أو تُدّعى له؛ بإظهار اتصافه بصفات النقص والعجز قال –عز وجل–:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٠ ﴾ (الروم: ٤٠). وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۖ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ١٩٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٩٤ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ (الأعراف: ١٩٢–١٩٥)وما آتاه الله تعالى لأنبيائه من دلائل متنوعة حسية وعقلية؛ دالة على ربوبيته تثبت إلاهيته وحده لا شريك له؛ فهو القادر على أن يغير سنن الكون ويقلبها من أجل أنبيائه ﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة: ٢٥٨)، وهو القادر على نصرتهم وتأييدهم وحفظهم، قال تعالى لموسى –عليه السلام– ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦ ﴾ (طه: ٤٢–٤٦)، وإهلاك عدوهم بأنواع الآيات والأمور الخارقة التي لا يقوى على الإتيان بها أو بمثلها أحد.قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٣٤ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ١٣٥﴾ (الأعراف: ١٣٢–١٣٥)وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم عن حال الكافرين والغاوين ممن عبدوا غيره، ولم يطيعوا أمر المرسلين يوم القيامة فقال: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ٩١ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٩٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ٩٣ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ٩٤ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ٩٥ قَالُواْ وَهُمۡ فِيهَا يَخۡتَصِمُونَ ٩٦ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٨ ﴾ (الشعراء: ٩١–٩٨)، فآلهتهم لم تنصرهم ولم تدفع عنهم العذاب والحريق في جهنم، ولم يكن لها ابتداءً في نصرتهم لا دفع ضر ولا جلب نفع، ولكنهم لا يعقلون.

ثالثًا: إثبات صدق النّبي في دعواه.

وهذه الحكمة الظاهرة من تنوع دلائل النبوة، فالمولى –عز وجل– لا يترك أنبياءه ورسله بعد ما حمّلهم الأمانة العظمى وهي تبليغ الدعوة إلى توحيده ومحاربة الشرك به دون أن يؤيدهم بما يثبت دعواهم أنهم يخبرون عنه، ومُخبرون منه بالدعوة إلى توحيده وترك عبادة ما دونه من آلهة

باطلة، قد اعتاد القوم على عبادتها وورثوا تعظيمها عن آبائهم وأجدادهم، واعتبروهم القدوة لهم ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ قُلۡ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤ ﴾ (الزخرف: ٢٢-٢٤)، وبعضهم بالإضافة إلى ما قد كانوا عليه من معتقد باطل كانوا على سلوكٍ وطرقٍ منحرفة عن الحق بعيدة عن الفضائل والأخلاق ، فيواجه النّبي منهم التكذيب والمعارضة والاستكبار، قال تعالى: ﴿إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ١٤ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ١٥ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ١٦ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٧ وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ١٨ ﴾ (فصلت: ١٤-١٨)وأول ما يطلب الأقوام والطواغيت ممن ادّعوا الألوهية لأنفسهم من دون الله من أنبيائهم البيّنة على صدقهم في دعواهم لتوحيد الله، قال تعالى : ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٠٣ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ قَدۡ جِئۡتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَرۡسِلۡ مَعِيَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٠٥ قَالَ إِن كُنتَ جِئۡتَ بِـَٔايَةٖ فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٠٦ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ١٠٧ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ١٠٨ ﴾ (الأعراف: ١٠٣-١٠٨)، وقال سبحانه : ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ١١ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ١٢ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ١٣ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ١٤ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ١٥ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٧ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢١ وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٢٢ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥ قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧ قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٨ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ٢٩ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ٣٠ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣١ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ٣٣ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ٣٤ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ٣٥﴾ (الشعراء: ١٠-٣٥). وكلما ازداد عناد القوم واستكبارهم واصرارهم على الكفر والشرك ازدادوا تعنتا في طلب البينات، قال تعالى في قصة موسى –عليه السلام–مع فرعون وقومه: ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣ ﴾ (الأعراف: ١٣٢-١٣٣)ولذلك من حكمة تنوع دلائل النبوة أنها طريق لإثبات صدق الأنبياء أمام تعنت الطواغيت وأتباعهم، وعبّاد الأوثان والأصنام المحتذيين بأسلافهم، المتبعين لأهوائهم والمتحجرين في عقولهم.

وهذه الحكمة مرتبطة بحكمة أخرى هي إقامة الحجة على الخلق.

رابعًا: حكمة إقامة الحجة على الخلق.

من حكم تنوع دلائل النبوة إقامة الحجة على الخلق؛ ذلك لأن الله خلقهم مختلفين في العقول والأفهام، وطرق الإدراك والمعرفة والتصديق، فمنهم من يفكر بعقله ويعي ويدرك ما وراء ما يراه بعينه وهؤلاء هم العقلاء ذوي الألباب.وهذا ما كان من أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها –بعدما أخبرها النّبي ﷺ بما جرى معه في حراء من أمور ورؤيته لجبريل –عليه السلام–فقال لها: «" قد خشيت على نفسي " فقالت بعدما سمعت منه: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[٤٧]وكورقة ابن نوفل ابن عم خديجة – رضي الله عنها –فقد جاء في حديث بدء الوحي على النّبي ﷺ «أنها– رضي الله عنها –انطلقت برسول الله حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وكان امرءا تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: يا بن عم، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا بن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقاله له ورقة: هذا الناموس الذي نزّله الله به على موسى، يا ليتني فيها جذع، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: (أو مخرجيّ هم). قال: نعم، لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا»[٤٨]ومثل الصدّيق أبا بكر– رضي الله عنه–وكان قد رأى دلائل النبوة على محمد ﷺ حتى قبل دعوته، فلما فاتحه عليه الصلاة والسلام بالدعوة أسلم من حينه، ولم يكلمه النّبي ﷺ قط بشيء إلا صدّقه فورًا.وهناك من الخلق من لا يعي ولا يفهم ولا يصدق إلا بما يدركه بحواسه من بصر أو سمع أو غيره، ومن كان معاندا

مشاقا متكبرا على قبول الحق، وأمثال هؤلاء في الأمم كثير من أول دعوة نوح –عليه السلام–إلى محمد ﷺ.﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِأٓيَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴾ (طه: ١٣٣)، ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِأٓيَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٥) ولذلك فإن دلائل نبوة الأنبياء حتى في نوعها أنها مثلاً حسية قد تنوعت بين إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأصم، وشق القمر، وعدم الإحراق بالنار، وتكثير الطعام والشراب وغيرها؛ حتى تقوم الحجة على كل من وصلته دعوة النّبي، فلا يجد حجة يحتج بها ولا يكون أمامه إلا التصديق والإيمان وإلا كان معاندا مشاقا كافرا بما بين يديه من الحق.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، أحمده وأشكره على ما أنعم عليَّ به من كتابة هذا البحث وإتمامه على الوجه الذي هو عليه، فهو كريم العطاء وأهل الحمد والثناء، والصلاة والسلام على خير من اصطفاه الله تعالى من عباده ليكون نبيه رسول لآخر الأمم إلى قيام الساعة، وبعد:

فقد ظهر في خاتمة البحث نتائج وفوائد ألخصها فيما يلي:

١. معنى دلائل النبوة: هي العلامات والبراهين والآيات المستلزمة لصدق النّبي سواء كانت على وجه التحدي أو الابتداء.

٢. أن دلائل النبوة لها مرادفات منها: آيات النبوة، أمارات، علامات، براهين النبوة.

٣. أن دلائل النبوة أو آيات الأنبياء كثيرة ومتنوعة؛ لأن الأدلة كلما كثرت وتواردت على مدلول واحد كانت أوكد وأظهر وأيسر لمعرفة الحق.

٤. يمكن إجمال دلائل النبوة في ثلاثة مسالك: المسلك الشخصي والأخلاقي، المسلك التشريعي، مسلك الآيات وانخراق السنن الكونية للأنبياء.

٥. يندرج تحت المسلك الشخصي والأخلاقي: الكمال الشخصي، والكمال الأخلاقي، والتجرد الإصلاحي، ولكل منها أدلته وأمثلته من دلائل النبوة.

٦. أن آيات الأنبياء تنقسم إلى أقسام وأنواع:

أ–من حيث إدراكها:

١–آيات عقلية أو معنوية.

٢ –آيات حسية.

ب–من حيث الكمال الإلهي تنقسم إلى: آيات متعلقة بكمال العلم الإلهي، وآيات متعلقة بكمال القدرة الإلهية، وآيات متعلقة بكمال الغنى الإلهي، ولكلٍّ أدلته وأمثلته.

٧. أن تنوع دلائل النبوة له حكم بعضها ظاهر ومباشر مثل: إثبات صدق النّبي في دعواه، وبعضها غير مباشر مثل: تقرير وإثبات ربوبية الله تعالى، وإثبات إلهيته تعالى، وإقامة الحجة على الخلق.

٨. أن من رحمة الله تعالى بعباده أن جعل دلائل النبوة متنوعة، لأنه سبحانه هو خالقهم وهو أعلم بهم، فهم مختلفين في طرق الإدراك، ومستوى الفهم، وسرعة الاستجابة والتصديق؛ فجاءت دلائل النبوة بمسالك وأقسام متنوعة، ليفهمها ذوي الألباب ويدركها ذوي الأبصار.

ومن توصيات هذا البحث:

- الاهتمام بدراسة دلائل النبوة بأنواعها المختلفة في الكتاب والسنة، تبياناً للحق، وكشفاً عما خفي فيها من الحكم، خدمة للدين ونصرة للأنبياء.
- إبراز هذه الدلائل لمواجهة موجات التشكيك والطعن في النبوة والأنبياء، لا سيما في هذا العصر الذي طغت فيه موجات الإلحاد وطغيان المادة على الفكر الإنساني وفي الختام آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

المراجع

١. الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، سعود بن عبدالعزيز بن محمد العريفي، دار عالم الفوائد، الطبعة: الأولى،١٤١٩هـ.

٢. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، ت: جماعة من المختصين، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت –المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، دار الهداية، ودار إحياء التراث وغيرهما.

٣. تفسير القرآن العظيم، لأبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، ت: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى،١٤١٩هـ.

٤. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور ت ٣٧٠هـ، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ –٣١٠هـ)، دار التربية والتراث –مكة المكرمة.

٦. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٧. الجامع لأحكام القرآن، لأبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ –١٩٦٤ م

٨. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، دار العاصمة، السعودية.

٩. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، ت: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ –١٩٨٨ م.

١٠. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، لأبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ)، ت: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

١١. السيرة النبوية لابن هشام، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت ٢١٣هـ)، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ –١٩٥٥ م.

١٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧ هـ –١٩٨٧ م.

١٣. صحيح السيرة النبوية [من "البداية والنهاية" لابن كثير]، لَخّصه مُقتصِرا على ما صح وعَلّق عليه: محمد ناصر الدين الألباني (ت ١٤٢٠ هـ)،المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن، الطبعة: الأولى

١٤. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ – ٢٦١ هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م.

١٥. ظاهرة نقد الدين في الفكر الغربي الحديث، لسلطان بن عبدالرحمن العميري، مركز تكوين للدراسات والأبحاث بالرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨م.

١٦. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري ت ١٧٠هـ، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

١٧. قالوا عن الإسلام، عماد الدين خليل، الندوة العالمية للشباب، الطبعة: الأولى،١٩٩٢م.

١٨. قصة الحضارة، لِوِل ديورَانت [ويليام جيمس ديورَانت (ت ١٩٨١ م)]، ترجمة: زكي نجيب محمود، محمد بدران، عبد الحميد يونس، محمد علي أبو درة، فؤاد أندراوس، عبد الرحمن عبد الله الشيخ، دار الجيل، بيروت – لبنان، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

١٩. لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة –١٤١٤ هـ.

٢٠. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية،١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢١. مختصر دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق(ت٤٣٠هـ)، اختصره أ. د أحمد بن عثمان المزيد، مدار الوطن للنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٨هـ–٢٠١٧م.

٢٢. النبوات، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، ت: عبد العزيز بن صالح الطويان، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

هوامش البحث

[١] صحيح البخاري، الحديث رقم (٧٢٧٤).

[٢] انظر: الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (٦ / ٤٢٩).

[١] انظر: تهذيب اللغة للأزهري (١٤ / ٦٦) ومقاييس اللغة لابن فارس (٢ / ٢٥٩)، والصحاح للجوهري (٤ / ١٦٩٨)، ولسان العرب لابن منظور (١١ / ٢٤٩).

[٢] انظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، سعود العريفي (١٧ – ٢٢).

[٥] انظر كتاب العين، (٨/ ٣٨٢)، تهذيب اللغة، (١٥، ٣٥٠).

[٦] لسان العرب (١/ ١٦٢).

[٧] النبوات، لابن تيمية(٨٧٨/٢).

[٨] لسان العرب (١/ ١٦٤)

[٩] تاج العروس مادة نبأ (١٢٢/١-١٢٣)

[١٠] تهذيب اللغة (٣٤٩/١٥)، تاج العروس (٤٤٨/١)

[١١] لسان لعرب (٣٠٣/١٥)

[١٢] المصدر السابق (٣٠٢/١٥).

[١٣] مختصر دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني، اختصره أحمد المزيد، ص (٢٢).

[١٤] انظر: تفسير الطبري (٣٨/١٢)، وتفسير القرطبي (٥٩/٩).

[١٥] صحيح البخاري، حديث رقم (٢٢٧٦).

[١٦] صحيح البخاري، حديث رقم (٧).

[١٧] تفسير ابن كثير (١٨٢/٣).

[١٨] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١١٩/١٣).

[١٩] صحيح البخاري، الحديث رقم (٤٧٧٠).

[٢٠] صحيح السيرة النبوية، الألباني (١٦٢).

[٢١] الروض الأنف، السهيلي (١٦١/٥).

[٢٢] ظاهرة نقد الدين (٢٨٧/٢).

[٢٣] المصدر السابق (٢٩٣/٢).

[٢٤] المصدر السابق (٢٩٤/٢).

[٢٥] المصدر السابق (٢٩٥/٢).

[٢٦] رواه البخاري، حديث رقم (٤١١٠).

[٢٧] رواه البخاري، حديث رقم (٦٩٤٣).

[٢٨] سيرة ابن هشام (٢٦٢/١).

[٢٩] مجموع الفتاوى (٦/٢).

[٣٠] إدوارد بروي Edourd Perroy، باحث فرنسي معاصر وأستاذ في جامعة السوربون.

[٣١] قالوا عن الإسلام، ص (٩٧).

[٣٢] ويليام جيمس ديورانت William James Durant فيلسوف، مؤرخ وكاتب أمريكي من أشهر مؤلفاته كتاب قصة الحضارة.

[٣٣] قصة الحضارة (٤٧/١٣).

[٣٤] ظاهرة نقد الدين (٢٩٠/٢-٢٩٣).

[٣٥] الخرق هو الشق في الحائط أو الثوب. لسان العرب، ابن منظور (٧٣/١٠).

[٣٦] المقصود بها العادات المتعلقة بسنن الله تعالى وحكمته في تنظيم الكون وأحواله، وفق أنظمة دقيقة لا قدرة لأحد على تغييرها. انظر: النبوات، ابن تيمية (٣٥٢)

[٣٧] رواه البيهقي، دلائل النبوة (١٩٨/٢).

[٣٨] رواه الحاكم في المستدرك (٦٥/٣)، وقال الذهبي: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

[٣٩] صحيح البخاري، حديث رقم (٣٨٦٨).

[٤٠] صحيح البخاري، حديث رقم (٣٥٨٣).

[٤١] انظر: مجموع الفتاوى، (٣١٣/١١-٣١٨).

[٤٢] ويسمى كشفا ومشاهدات ومكاشفات ومخاطبات: فالسماع مخاطبات والرؤية مشاهدات والعلم مكاشفة ويسمى ذلك كله " كشفا " و " مكاشفة " أي كشف له عنه.

[٤٣] صحيح البخاري، حديث رقم (٣٤٥١).

[٤٤] مجموع الفتاوى (٣١٤/١١).

[٤٥] صحيح البخاري، حديث رقم (١٨٦٤).

[٤٦] صحيح مسلم: حديث رقم (٢٧٩٧).

[٤٧] رواه البخاري، حديث رقم (٣).

[٤٨] رواه مسلم، حديث رقم (١٦٠).